



القدس في روايات الأسيرات والأسرى وفي السير الذاتية واليوميات

محمود شقير

روائي فلسطيني

توطئة

(١)

مرّت مياه كثيرة تحت الجسر، أو على الأصح: مرّ مئات آلاف الرجال والنساء والأطفال عبر زنازين المحتلين الإسرائيليين وسجونهم منذ ظهر كتاب «أوراق سجين» الذي يروي فيه الدكتور أسعد عبد الرحمن تجربته في السجن الإسرائيلي، إثر اعتقاله هو وعدد من رفاقه الفلسطينيين بعد هزيمة حزيران 1967.

كذلك؛ ظهرت خلال السنوات الخمس والخمسين الماضية كتب عديدة عن تجربة السجن، المهمورة بالعنف والتعذيب والألم والمعاناة، كتبها معتقلون وأسيرات وأسرى فلسطينيون أثناء وجودهم في السجن أو بعد خروجهم منه، وتراوحت هذه الكتب بين الشهادات والسير الذاتية والمجموعات القصصية والروايات والكتب الفكرية واليوميات والكتب المكرسة للفتيان والفتيات.

أنوه هنا، بكتاب من تأليف الأسير مروان البرغوثي: «ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي»، وكتاب من تأليف الأسير أحمد سعادت: «صدى القيد»، وأنوه بما كتبه ويكتبه الدكتور أحمد قطامش من مقالات ودراسات، وبما ألفه من كتب في الفكر السياسي وهو داخل السجن وخارج السجن. أنه كذلك برواية «سر الزيت» المكرسة للفتيات والفتيان التي فازت بجائزة اتصالات، وكتبها الأسير وليد دقة، الذي ما زال يقبع في سجون الاحتلال منذ ست وثلاثين سنة، وأنه بكتاب «للسجن مذاق آخر» للأسير أسامة الأشقر الذي ما زال يقبع في ظلام السجون ذاتها.

وبالطبع؛ ثمة نتاجات شعرية وقصصية وروائية وشهادات ويوميات كتبها أدباء فلسطينيون أثناء وجودهم في السجون الإسرائيلية أو بعد خروجهم منها، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: باسم خندقجي، حسام زهدي شاهين، أيمن الشرباتي، سائد سلامة، عمّار الزبن (هؤلاء الخمسة ما زالوا يقبعون في السجون) يحيى السنوار، أسعد الأسعد، سمير التميمي، المتوكل طه، ماجد أبو غوش، عبد الناصر صالح، عمر حمّش، محمد عليان، طلال أبو عفيفة، عائشة عودة، مي الغصين، عطف عليان، عبد الفتاح دولة، جميل السلحوت، إبراهيم جوهر، عزت الغزاوي، أسامة العيسة، حسن عبد الله، وليد الهودلي، حسام كناعنه، خضر محجز، عصمت منصور، صالح أبو لبن، وغيرهم كثيرون.

ولا بد من وقفة عند بعض روايات وسير ذاتية وشهادات ويوميات كتبها أسيرات وكتبها أسرى فلسطينيون وهم في الأسر، أو وهم محرّرون، وظهرت في هذه النتاجات الأدبية أمكنة فلسطينية شتى ومدن من بينها مدينة القدس.

(ب)

للقدس المهتدة بخطر التهويد والأسرلة علاقة بعدد لا يستهان به من هذه النتاجات الأدبية لعلها بذلك تحافظ على صورة المدينة في أذهان الشعوب العربية وفي أذهان المسلمين والمسيحيين أينما كانوا، لأنها مهد الديانات السماوية، ويفترض أن يحميها



المؤمنون بها وبجوهر رسالتها الإنسانية من خطر التهويد الذي يتناول على طبيعة المدينة وعلى تاريخها العريق بوصفها مدينة فلسطينية خالصة القسّمات مكتملة الصفات.

وللأسف؛ فإن القدس في الخيال الجمعي لشعوب أوروبا وأميركا الشمالية يجري التعاطي معها بصفتها مدينة يهودية، وذلك بتأثير نصوص التوراة وبسبب الدعاية الصهيونية التي تسندها كتابات أدبية وقصص وروايات غير قليلة.

عبرت عن ذلك اللبس الشاعرة فدوى طوقان، أم الشعر الفلسطيني على رأي محمود درويش، في قصيدة كتبها قبل هزيمة حزيران 1967 ووصفت فيها حوارًا دار بينها وبين مواطن بريطاني فيما كانت تتمشى على ضفاف نهر التايمز في لندن، قال لها:

- طقس كئيب وسماؤنا أبدًا ضبابية

من أين؟ إسبانية؟

- أنا من رواي القدس

وطن السنا والشمس.

- يا، يا.. عرفت؛ إذا يهودية.

- يا طعنة أهوت على كبدي صماء وحشية.

بعد ذلك بسنوات؛ التقى الروائي العراقي علي بدر في أحد المؤتمرات الكاتب الإسرائيلي عاموس عوز، الذي تباهى بأن الأدباء الإسرائيليين كتبوا مئة رواية عن القدس، فكم عدد الروايات التي كتبها الأدباء الفلسطينيون والعرب عنها؟

استفزع هذا السؤال علي بدر فراح يجمع معلومات خاصة بالقدس قبل أن يزورها، وكتب روايته: «مصايح أورشليم». وكتب عرب آخرون روايات عن القدس، مثلما كتب روائيون فلسطينيون وروايات عددًا غير قليل من الروايات عن المدينة.

(ج)

سأحاول في هذه المقالة متابعة ما كتبه أسرى وأسيرات عن القدس، حين خرجوا من الأسر أو وهم ما زالوا في الأسر، ولست أدعي أنني ملّم بكل ما صدر من روايات، وسأكتفي بالإشارة إلى روايات أتيح لي أن أقرأها لأسرى ما زالوا يقبعون في ظلام السجون الإسرائيلية، أو روايات وسير ذاتية وشهادات ويوميات كتبها أسرى وأسيرات بعد الخروج من السجن، وكانت القدس مذكورة فيها على هذا النحو أو ذاك، وأرجو أن تكون هذه المقالة مدخلاً أو حافزاً للدراسات ينهض بها نقاد أو دارسون.

ويبدو لي أنه ليس من السهل ممارسة الكتابة الإبداعية من دون التفاعل مع نبض الحياة اليومية.

لذلك تبدو على قدر من الإدهاش تلك الكتابات الإبداعية التي يكتبها الأسرى الفلسطينيون وهم داخل السجن. ولعلنا نلاحظ أن مادة الكتابة تتم إما اعتماداً على الذاكرة التي تستدعي وقائع وتفاصيل عايشها الأسير وهو خارج السجن؛ وإما اعتماداً على التاريخ أو على قراءات الأسير داخل السجن؛ وقيامه بالتناسل مع هذه القراءات. وبالطبع؛ تشكل المعاناة داخل السجن وقهر السجنان، وتبادل الخبرات والتجارب بين الأسرى أنفسهم؛ وزيارات الأهل ومتابعة نضالات الشعب وأحوال الناس في الخارج مادة للكتابة.

لكن رتبة الحياة داخل السجن وتشابه الأيام والشهور لا تشكل حافزاً ملحاً للإبداع، وهنا تتجلى قدرات المبدعين من الأسرى والأسيرات حيث يصبح الإبداع نفسه عنصرًا من عناصر تحدي السجن والسجان، وكذلك التشبث بالحياة والأمل في المستقبل.

ولربّما كانت الكتابات الفكرية والسياسية ووصف تجربة الاعتقال التي مارسها ويمارسها أسرى من أمثال مروان البرغوثي وأحمد سعادات وأحمد قطامش أكثر طواعية



من الكتابات الإبداعية؛ لأنها تعتمد في الأساس على المخزون الفكري والسياسي، وعلى التجربة الحية للأسير أثناء المعاناة من السجن والسجان، من دون أن نستهيىن بالطبع بالجهود المبذولة في هذا النوع من الكتابات المهمة.

القدس حاضنة المناضلين

كان فائق وِرّاد الذي تفتّحت عيناه على الحياة قبل اندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى في العام 1936 بعشر سنوات، قد بدأ بحسه الفطري السليم يتلمس مظاهر الفقر والبؤس والتخلف في قريته، التي تشترك في ذلك مع بقية قرى الريف الفلسطيني. وبدأ في الوقت ذاته يتعرف على ما يحيط به من ظواهر عامة، مثلت الثورة الفلسطينية آنذاك واحدة من أبرزها وأكثرها حسماً في حياته. فثمة عدم استقرار في البلاد، وثمة هجرة وانتداب ونزوع فلسطيني إلى الحرية والاستقلال.

وكان فائق وِرّاد في تلك الفترة تلميذاً على مقاعد الدراسة. وقد هياً له تفوقه وذكاؤه، الانتقال إلى القدس للدراسة في مدرستها الشهيرة: الرشيدية الثانوية، التي عملت فيها نخبة من أبرز المدرّسين الفلسطينيين، وكان في عدادهم أدباء ومثقفون.

أقام فائق وِرّاد في القدس وهو تلميذ في مدرستها، أربع سنوات، نقلته من بساطة الريف إلى فضاء واسع متعدد الآفاق، حيث المعرفة والعلاقات المتشابكة المفضية إلى وعي حديث. كانت القدس ويافا وحيفا وغيرها من المدن الفلسطينية، تشهد انطلاقة أكيدة نحو الحداثة والعصرنة رغم ما يخطط لها الصهاينة والإنكليز من مصير مشؤوم. وكان المنوّرون الفلسطينيون في حقول الثقافة والأدب والفن والصحافة والعلوم والتربية والتعليم، يواصلون جهودهم لوضع مجتمعهم في قلب العصر ومستجداته التي لا بد منها. وكانت عصبية التحرر الوطني في فلسطين هي التعبير الأكثر اكتمالاً آنذاك عن الحداثة الفلسطينية في حقل السياسة، وعن هموم الشعب الفلسطيني وتطلعاته.

فائق وِرّاد الذي أمضى ثماني سنوات في سجن الجفر الصحراوي قبل هزيمة حزيران

1967 كان من أوائل المبعدين الفلسطينيين من الأرض المحتلة إلى الأردن جراء نشاطه السياسي ضد الاحتلال، وقد كتب عن تجربته النضالية في مذكراته التي صدرت في كتاب عام 2005، وفي الكتاب إشادة بالقدس التي كانت فيها مراكز للتنوير الفكري والسياسي والثقافي، تأثر بها وأخذته إلى طريق النضال الوطني التقدمي الطويل.

وكان المناضل المقدسي نعيم الأشهب من أوائل المعتقلين في السجون الإسرائيلية بعد هزيمة حزيران 1967 حيث اعتقل إدارياً عام 1968، وفي عام 2009 نشر سيرته الذاتية في كتاب موسوم بـ «دروب الأمل.. دروب الأمل» تطرق فيه إلى قضايا كثيرة من بينها علاقته بمدينة القدس ونضاله مع رفاقه وجماهير شعبه من أجل تحريرها من المحتلين الإسرائيليين، كان أهل المدينة في الأسابيع الأولى للاحتلال يتلمسون طريقهم نحو الصمود والتصدي لعسف المحتلين. وها هو نعيم الأشهب يصف أول اعتقال له حين كان مقيماً في بيت سري في المدينة، يقول:

«كان ذلك يوم 07 / 01 / 1968، إذ بينما كنت متوجهاً من بيتي السري، صاعداً بمحاذاة حائط الكلية الرشيدية، في طريقي إلى شارع الزهراء، وإذا بشاب عملاق كالمصارعين أسمر البشرة مجعد الشعر، يبدو أنه من أصول مصرية، يعترضني ويبرز بطاقته لي، باعتباره من رجال الأمن الإسرائيلي، وعلى الفور انتزع من وسطه «كلبشات» يريد تكبييل يدي، فقلت له: «أنا لست لصباً وأرفض تكبييل يدي»، فقال: «لا بأس، انتظر». ص 200.

بعد ذلك يسرد نعيم الأشهب كيف تخلص من منشورات كان يحملها في جيب معطفه، وكيف حاول الفرار من الاعتقال، لكن رجل الأمن طارده وهو يشهر مسدسه حتى ألقى القبض عليه من جديد، ليتم توقيفه إدارياً ستة أشهر، ليطلق سراحه بعدها على أن يقوم «بإثبات الوجود مرتين يومياً في مركز الشرطة وعدم مغادرة البيت من غروب الشمس حتى شروقها». ص 209.



ثم يجري اعتقاله من جديد، يقول: «اقتربت ذكرى «وعد بلفور» المشوؤم، ووجدناها فرصة جديدة لتعبئة شعور المواطنين ضد الاحتلال. وهكذا، شرعنا نستعد لإضراب على نطاق البلاد، وبمشاركة جميع القوى المستعدة لهذه المعركة. وعصر الثلاثين من تشرين الأول/ أكتوبر 1968، وعقب توزيع المنشور الداعي للإضراب، ذهبت لإثبات الوجود كالعادة في مركز القشلاق، لكنهم احتجزوني، ودون تحقيق هذه المرة، حولوني إلى مركز التحقيق في المسكوبية». ص 212/ 213.

جرب نعيم الأشهب مرارة السجون الإسرائيلية في المسكوبية والرملة وشطة والدامون جراء نضاله ضد الاحتلال، ثم أبعد من داخل السجن يوم السابع عشر من آب 1971، وبقي في المنفى اثنين وعشرين عامًا، عاد بعدها إلى القدس مع الفوج الثاني من المبعدين العائدين بتاريخ الثالث من أيار 1993.

تبدو القدس هنا ملازمة لنضالات أبنائها، وهم لا يطيقون فراقها إلا مكرهين.

وقد اعتقل الكاتب أسعد الأسعد سبع مرات لمدة تتراوح بين أسابيع وعدة أشهر، كان أولها في 23 آب 1967 في سجن أبو كبير لثلاثة أشهر، ثم في 1989 لستة أشهر وإقامة جبرية لتسع سنوات، ومنع من السفر للمدة نفسها حتى 1991.

في روايته «دروب المراثي» يقدم على لسان مراد، بطل الرواية أطروحة مستندة إلى التاريخ وإلى وقائع من الزمن الحديث عن حقنا الثابت في وطننا فلسطين، وإلى ذلك فهو يلجأ إلى الترحل في ربوع الوطن ومعه راحيل؛ الفتاة اليهودية التي تجهل كثيرًا من حاضر بلادنا وماضيها.

في الأحداث التاريخية المسرودة على لسان مراد تفاصيل ممتعة، كذلك هي الحال أثناء تعريف راحيل بتفاصيل المدن والقرى الفلسطينية التي زارتها برفقة مراد أو مرت بها معه، ومن أهمها مدينة القدس، يقول: «اقترب مراد من راحيل، مقترحًا مرافقته لزيارة

المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومن بعد كنيسة القيامة (..) لم تستطع راحيل إخفاء مشاعرها حين وقع نظرها على مراد، وقد بدأت الشمس تختفي وتغادر مدينة القدس غرباً، فيما بدا الظلام يجيم على أزقة القدس». ص 69/70.

تبدو القدس هنا عvisية على الغرباء الطارئین.

وفي كتابه «البهاء باقٍ فينا ومعنا» يكتب محمد عليان الذي جرب السجون الإسرائيلية لسنوات طويلة، واصفاً دفن ابنه الشهيد في مقبرة باب الساهرة في القدس بعد مكوثه أشهراً طويلة في ثلجات الاحتلال:

«يا إلهي لو أني أبكي، يا إلهي لو أني أصرخ.. كانت صرختي ستدوي في أنحاء وسماء القدس.. البهاء أمامي.. عارياً كان، إلا من قطعة داخلية وحذاء رياضي في قدمه اليسرى و«وجربان أبيض» في قدمه اليمنى.. البهاء أمامي.. عارياً كان، بهياً كان، جميلاً كان، أي جمال أبهى من جمال البهاء.. نظر إليّ عليّ.. نظر نحوي الضابط، العائلة في وجوم قاتل.. السماء تترقب.. ملأت صدري بكمية كبيرة من الهواء، بلعت ريقى المتجمد، أرغمت غصّة على التراجع، رسمت بريشة طفل هاوٍ، ابتسامة باهتة، صفراء، لا حياة فيها، استعرضت بنظرة سريعة، جسم البهاء، أمامي كان عارياً، ينتظر دفء الأرض، يا إلهي أشعر بالبرد، بالقشعريرة، أحاول إخفاء رجفة مباحته، أقول وأنا لا أسمع صوتي، لكنهم سمعوه، هم العسكر، والعائلة وأم البهاء وربها البهاء - أوافق..

- هتفت العائلة، ابتسم العسكر، صفقت القدس.

ابتسم البهاء..

تململ البهاء..



أحسست بذلك أو هكذا بدا لي..

بعد دقائق سينعم بدفء القدس

«أيها الشعب

بهاء الآن في دفء القدس» ص 51 / 52.

تبدو القدس هنا مثل أم رؤوم وهي تحتضن جثمان الشهيد.

وفي تجربة الكاتب جميل السلحوت وعلاقته بالقدس ما يلفت الانتباه؛ فقد أعتقل في آذار 1969 وجرب سجون المسكوبية والرملة والدامون، وأمضى ما يزيد عن العام معتقلاً إدارياً، وبعد سنوات من مغادرة السجن عاد إلى تلك الفترة القاسية التي تعرض فيها للتعذيب، وكتب عددًا من الروايات التي ظهرت فيها القدس بوصفها مدينة محتلة، لكنها لا تخضع لإرادة المحتلين، كانت أولها رواية «ظلام النهار» التي جعل لها بطلاً اسمه خليل، ظل يظهر في روايات أخرى بتجليات متتابعة، وهو يعمل في القدس ويعيش على تحومها، ويدخل السجن الإسرائيلي ويتعرض للتعذيب من أجلها، كما تبدي ذلك في رواية «العسف» وفي غيرها من الروايات.

في رواية «اليتيمة» نقرأ ما يلي: «عند مدخل الشارع الموصل إلى حيّ الثوري، والمحاذي لسور الدير الألماني طلب منها أن تأخذ يمين الشارع للدخول من هناك باتجاه الثوري. نزلوا الجبل في الشارع اللولبي الذي يشبه الأفعى في زحفها، ويزدحم بالسيارات التي تصطف على جانبيه رغم كثرة عدد السيارات التي تعبره. عندما وصلا الوادي، استغلّ عدم معرفتها بالطريق، وبدلاً من أن يدور يميناً باتجاه بئر أيوب، تركها تسير في الشارع العام ليربها مدخل عين سلوان التحتا، ومن عند العين الفوقا سيدور بها يميناً عائداً إلى بئر أيوب، فبيتهم يقع في تلك الطريق.

قال لها عن العين: «عين سلوان مركز بداية مدينة القدس الكنعانية قبل آلاف السنين.

وتعتبر العين مقدّسة عند المسيحيين لأنّ المسيح استعمل ماءها لشفاء الرّجل الأعمى. ويقال أنّ السيّدة مريم العذراء غسلت بيائها ملابس الرّضيع عيسى، ولهذا سمّيت أيضا بعين العذراء». ص 57.

القدس هنا هي مدينة العراقة والتاريخ، وهي حاضنة التجربة في الحياة وفي الكتابة.

أما القدس في اليوميات التي كتبها ابراهيم جوهر الذي اعتقل لمدة ثلاثة أشهر عام 1979 حين كان طالباً في جامعة بيت لحم، فهي تتجلى بوضوح في كتابه «أقحوانة الروح» التي منحها الكاتب كثيراً من انتباهه، ليس لأنّه يجيأ على تخومها ويتحرّك في فضائها الثقافي والاجتماعي كل يوم، ويعاني من حواجز المحتلين المنصوبة حولها، ومن ممارساتهم العنصرية، معرّضين بذلك كرامته وكرامة أبناء شعبه للامتهان، وإنما كذلك لما للقدس من مكانة في نفسه وفي نفوس الملايين من الفلسطينيين والعرب والمسلمين والمسيحيين.

ولا يكتب ابراهيم جوهر يومياته بعيداً من تجربته المشخّصة. لا يكتب بوصفه مراقباً محايداً، أو مثقفاً متعالياً، بل هو يكتب من داخل التجربة، وثمة مكان أثير للقدس التي تتعرّض للتهويد المستمرّ وللعدوان، ولتفاصيلها ولكلّ ما يمتّ بصلّة إليها في كثير من تفاصيل هذه اليوميات، بحيث يصبح وصفها بأنّها يوميات مقدسيّة أمراً في مكانه الصحيح وفي زمانه الصحيح.

يكتب إبراهيم: «...بعد الظهر تواردت أنباء اقتحام الشرطة الاحتلالية للمسجد الأقصى، ومنعها سيارات الإسعاف من الوصول.

المسجد الأقصى في طريق محفوف بالمخاطر

القدس على مرمى حجر من التهويد الكامل

الناس في القدس حيارى، مغبونون. حزاني ضائعون، متروكون لمصيرهم المنظور في



وحشته ووحشيته. يدي على قلبي. في الآونة الأخيرة صرت كثيرًا ما أضعها على قلبي.

لساني عاجزٌ، وتوقعاتي موعلة في التشاؤم.

مطر خفيف يرهם في الخارج. الحرارة توالي انخفاضها.

الأرض اشتاقت للمطر، وكذلك الناس.

سأذهب مساءً لزيارة طبيب العائلة بهدف تجديد القطرة والدهون لعيني اليسرى.

عيني... هل يعود السبب لتلك الليلة التي أوقفني فيها عدد من جنود حرس الحدود

في أعلى الجبل حين سلّط أحدهم ضوء مصباحه اليدوي على مقربة ستمترات منها؟؟

صلبني على الجدار الحجري وسلّط ضوءه المبهر على العين اليسرى حين وجد بقايا

لاصق مما يستعمله النجارون (آجو) في صندوق السيارة.

كنت اقترضت كمية من تلك المادة من جارنا النجار وأنا أعمل في مكتب العرب

للصحافة بإدارة رضوان أبو عياش، ولم أكن أدري وقتها (عام 1991 م) أن المادة

تستعمل في حرق السيارات !!

صباح الجمعة؛ مطر خفيف بلل الطرقات والمصاطب ورؤوس الأشجار وأسطح

المنازل.

مطر بلل قلبي.

ليت المطر يواصل الهطول». ص 12.

القدس هنا مدينة قابلة لتبادل الهموم اليومية مع ابنها وكاتبها ومع أبنائها الصامدين

فيها المضحّين من أجلها.

وفي «عسل الملكات» لماجد أبو غوش الذي اعتقلته سلطات الاحتلال أربع مرات،

أطولها اعتقاله لسته أشهر عام 1978، لا يكتفي الكاتب بتخصيص حيز ملائم في روايته لرام الله أثناء الانتفاضة الثانية، بل إنه يجعل بطل الرواية متيمًا بفتاة مقدسية، يلتقيها ويبحث عنها في أماكن عدة في مدينة القدس، بحيث تبدو المدينة بكل هذه الأوصاف التي يغدقها عليها الكاتب كما لو أنها هي الحبيبة الثانية إن لم نقل الأولى.

جاء في الرواية: «في المدينة القديمة، داخل السور، هبطت درجات باب العامود إلى باب خان الزيت، دخلت إلى مطعم (أبو شكري) طلبت طبقي المعتاد، (حمص مع فول مع رشة بقدونس وتبيلة حارة وغارقًا بالزيت)، (من لم يأكل من حمص أبو شكري في القدس القديمة لا يعرف الحمص)، خرجت من المطعم، هبطت الدرجات القليلة وانعطفت ناحية اليمين باتجاه كنيسة القيامة، في الساحة الحجرية أمام الكنيسة كانت تقف بدلال في ظل حائط الكنيسة». ص 63.

القدس وذاك السجن القبيح

تخطى القدس بشكل عام وسجن المسكوبية الكائن في الجزء الغربي من القدس بشكل خاص بذكر وافر في كتابات الأسيرات والأسرى. فقد أمضت مي الغصين ما يقارب ست سنوات في سجون المحتلين الإسرائيليين، وكما ورد في روايتها «حجر الفسيفساء»، فقد جاءت إلى شارع صلاح الدين المقدسي في سيارة نقل الأسرى لكي تمثل في المحكمة الواقعة بمحاذاة الشارع، ومن الفتحات الصغيرة في جسم السيارة تنظر بلهفة إلى الشارع الذي حرمت من المشي فيه جراء الاعتقال، ثم تصف سجن المسكوبية، وهو سجن سيء السمعة بسبب وحشية التعذيب التي يتعرض لها الأسرى والأسيرات في مكاتب التحقيق التابعة له، تصف زنازة العزل التي وضعت فيها في المسكوبية ومطالبتها المستمرة في الانتقال من هذا السجن، وبعد طول مطالبات واحتجاجات تُنقل إلى مركز التوقيف في عسقلان.

مرة أخرى تجيء إلى المحكمة وتكتب في كتابها عن القدس:



«من جديد في المسكوبية 10 / 02 / 1992، لأقضي ليلة قبل المحكمة،

والتي كما أخبرني المحامي ستكون الجلسة الأخيرة للنطق بالحكم، لم يكن ذلك الحكم ما يشغل بالي، وإنما تلك المدينة المقدّسة. أتساءل وأنا في طريقي للمحكمة: تُرى متى ستعود قدمي لتطأ أرضها من جديد؟! سيارة البوسطة تجوب الطرقات، وتلك الغيمات المقدسية هناك في السماء، لها ألف يدٍ ويد، كرحم أمّ تحتضني، تمنيت لو أنني جنينٌ يسكن جوفها فتلدني كذاذٍ صباحي يعانق القباب». ص 71.

ولدى مغادرة المحكمة في سيارة البوسطة تكتب مي ما يلي:

«شقت سيارة البوسطة طريقها في شوارع القدس، تلك المدينة التي لها سحرها الخاص، والتي لا تعود فيها دقات القلب منتظمة، لها حضورٌ لا يُقاوم، سحرٌ غير محرّم، حبٌّ لا يزول، غزلٌ لا خجل فيه، مدينة المتناقضات، حرّة رغم الأسر، فرح رغم الحزن، على كلّ شرفة من شرفاتها تركت نبضة، وتحت كلّ قبة دعوة، وفي كلّ درب زرعت خطوة، وعلى كلّ نافذة علّقت أملاً، وفي سائها نثرت روحي كفراشة تحترق بأنوارها، أقدامي مكبّلة، غير قادرة على أن تطأ ثراها، لكنّ روحي ما زالت تشتتمّ عقبها.

كم تمنيت لو أنني حجر في جدرانها، أو جذر شجرة يمتد في باحاتها، (...) عهداً لك يا مدينة الحكايات أن يبقى هذا القلب مُرابطاً بحبّك، ويدعو الله كلّ ليلة بأن أقضي شيخوختي فوق أدراجك القديمة». ص 72 / 73.

هو السجن ذاته الذي ورد ذكره في بعض شهادات الأسيرات المحررات في كتابهنّ: «ترانيم اليامة» الذي صدر حديثاً عن دار طباق للنشر والتوزيع في رام الله، وهنّ عشر أسيرات: مي الغصين، تغريد سعدي، شريفة أبو نجم، عطف عليان، أريج عروق، لينا جربوني، جيهان دحادحة، نهاد صالحية، منى قعدان، عهد شوبكي.

وهو السجن ذاته الذي وصفه الكاتب المقدسي طلال أبو عفيفة في كتابه «ذكريات

الماضي.. سيرة ومسيرة» حين اعتقلته أجهزة الأمن الإسرائيلية عن جسر اللنبي أول مرة مدة ثلاثة أسابيع عام 1979، ثم حين اعتقلته للمرة الثانية ثلاثة أشهر عام 1980 بتهمة الانتماء لحركة فتح.

وللروائي أسامة العيسة الذي اعتقل عدداً من المرات لمدة غير طويلة رواية بعنوان «المسكوبية» كتبها من وحي تجربته في الاعتقال وتجربة مناضل آخر معتقل، وفيها تفاصيل عن القدس وعن سجن المسكوبية الكريه، الذي دخله الآلاف من المناضلين الفلسطينيين واكتووا بجحيمه وصمدوا أمام قسوة المحققين والسجانين الإسرائيليين.

يكتب أسامة: «لا أعرف كم مضى من الوقت وأنا أقف خارج الغرفة التي يصعب نسيان ما كان يجري فيها، وكلما حاولت أن أحرك أحد أطرافي، أتعرض للكمة على رأسي أو جنبي، أو رفسة على إحدى رجليّ. من الصعب تحديد الزمن أو معرفة الوقت. الزمن في السجن غير الأزمان في الخارج، وزمن الزنزانة غير زمن الشبح، وهذا غير زمن التحقيق، وهذا غير زمن شبح الكرسي، وهذا غير زمن تعذيب الخزانة، وهذا غير ذاك وذاك غير هذا. الزمن نسبيّ، فكيف عرف أينشتاين ذلك دون أن يُسجن؟» ص 13.

ويكتب: «الدماغ لا يكفّ عن التفكير في الزنازين، ستتذكر أموراً كنت نسيتها، وتفاجأ بأنك تذكرها أو أنها حدثت معك فعلاً. الدماغ يُيقيك على قيد الحياة في السجن. دون هذا العضو العجيب في الجسم، لا توجد حياة. كل أعضاء الجسم تتألم من آثار الجروح والرّضوض، وهو وحده يسليك، يُؤنس وحدتك، ويُشجّعك، يحضر لك وجوه عائلتك، والفتاة التي تحبّها، والتي ابتسمت لك ذات يوم بخفر، ولا تعرف أين أصبحت الآن، والتي تمنيتها ولم تطلّها، والتي أحببتها وكرهتها، والتي أحببتك ولم تراع مشاعرها. يُدكّرُك بوجوه الأصدقاء الذين ينتظرونك، ويفخرون بصمودك، ستكون



لهم مثلاً، يقنعك بأنك قوي، أقوى مما كنت تتصور عن نفسك، بأنك ما زلت تعيش، رغم كل ما حدث معك، من يستطيع أن يبقى لو مرّ بتجربتك؟». ص 14.

الأمر ذاته ينطبق على المناضلة عائشة عودة التي اعتقلت عام 1969 وصدر ضدها حكم بالسجن مدى الحياة وبعده مؤبدات، لكنها تحرّرت من السجن بعد عشرة أعوام في صفقة تبادل عام 1979، وقد ورد ذكر سجن المسكوبية في كتابها «أحلام بالحرية» الذي وصفت فيه جلسات التحقيق والتعذيب التي تعرضت لها في هذا السجن المقيت وفي غيره من السجون.

كتبت عائشة: «تنبه أحدهم إلى شعري المربوط على هيئة ذنب فرس. أمسك به وطوح بي عالياً في الهواء ورماني على الأرض. أقدام كثيرة بدأت تركلني. من جديد سحبنني من شعري ورفعني عالياً وخبطني في الأرض لتركلني الأقدام من جديد كأنها يمارسون لعبة. تكرر ذلك ثلاث أو أربع مرات.

لا أذكر أنني كنت أتألم، ولكنني كنت أشحن إرادة الصمود والتحدي مع كل صفة أو ركلة مكررة في نفسي: هذا ثمن المواجهة، هذا ثمن المواجهة». ص 64.

وكتبت: «ركز نظره في عيوني من جديد، وأخذ ينقلها بالتناوب بين (الأنبوبتين) وعيوني، وأخيراً قال: (...) لا حاجة لأن تعذبني نفسك، خير لك أن تضعي كل ما لديك على هذه الطاولة.

-ليس لدي شيء لأضعه على الطاولة.

-ذنبك على جنبك.

ناول الأنبوبتين للواقف خلفي، بدأ يضربني بهما على رأسي كما يفعل قارع الطبل. رفعت يدي لأحمي رأسي، فضربني فوقهما». ص 65.

وفي كتاب السيرة «ظل آخر للمدينة» الصادر عام 1998 وصفت اعتقالي مرتين، الأولى بتاريخ 27 تموز 1969 والثانية في 19/ نيسان 1974 وأودعت سجن المسكوبية ثم سجن صرفند العسكري وبعد ذلك سجن الرملة/ الدامون، ثم سجن رام الله، وسجن الجلمة وبيت ليد، وقد أبعدت من هذا السجن الأخير إلى لبنان عام 1975، ولم أعد إلى القدس إلا عام 1993.

وكنت وصفت الساعات الأولى لاعتقالي عام 1969 واقتيادي ليلاً من بيتي في جبل المكبر إلى سجن المسكوبية على النحو التالي: «عند اقتراب الفجر، جاء ضابط المخابرات الذي اعتقلني، وقد أرهقني الوقوف طوال ساعات في مواجهة السور. طلب مني أن أتبعه، (...) مضيت إلى جانبه، لا أسمع سوى طرقات أحذيتنا على إسفلت الشارع الصاعد من مكاتب التحقيق إلى الساحة الخارجية لسجن المسكوبية، الذي يقع على تخوم الجزء الشرقي من القدس. (...) والقدس تنام الآن في سكون الفجر، وستصحو بعد قليل من نومها، فتعرف أنني لم أعد قادراً على التجوال في شوارعها وأزقتها، فتضيف إلى أحزانها المتراكمة حزناً جديداً. أسير صامتاً، متهيأً مما تبيت لي الأيام القادمة، ويسير الضابط صامتاً. نقرب من ساحة المسكوبية، التي لم تكن سجنًا في الأصل، بل: «مؤسسة معدة لاستقبال الزوار الروس في الأعياد والمواسم، يديرها رهبان وراهبات من الروس أنفسهم، يحيط بينائها الفخم وكنيستها الكبرى حدائق وكروم زيتون على التلال والأودية، يتألف من مجموع ذلك مناظر رائعة يرى منها جبل الطور والأبنية التاريخية البارزة بقببها ومآذنها وقواعد أجراسها، مما يضمن لكل زائر راحته وانسراحه مهما كان مثقلاً بالأتعاب فكرياً وجسماً»، وذلك كما يصفها مصطفى مراد الدباغ في كتابه «بلادنا فلسطين». الآن لا وجود لحدائق حول المكان. ولم أر سوى بناية قديمة متجهمة، تعلو السور المحيط بها شبكة من الأسلاك الشائكة». ص 116.

من داخل السجن

ثمة عدد غير قليل من الروايات والسير والشهادات التي كتبها الأسرى الفلسطينيون وهم في الأسر.



في كتاب «ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي» للأسير مروان البرغوثي يتطرق الكاتب إلى المعاناة الممتدة التي عاشها في الزنازين وفي التحقيق الذي استمر فترة طويلة مصحوباً بالتعذيب.

ويرد ذكر القدس وسجن المسكوبية في عدد من صفحات الكتاب. فقد كتب مروان في إحدى رسائله للشاعر اللبناني زاهي وهبي الذي قدّم الكتاب: «سيكون لقاءنا في القدس المحررة حيث ستحظى بمتعة الجلوس على أسوار القدس لتشعر أنك ترتفع على عرش حضاري يمتد آلاف السنين، وحيث نحسني فنجان قهوة في البلدة القديمة على أصدااء أذان المسجد الأقصى وصوت أجراس كنيسة القيامة. حين ذلك البهاء تقدم برنامجاً بعنوان «خليك بالقدس». ص 13.

ويواصل الكاتب التطرق إلى وضع القدس تحت الاحتلال واصفاً إجراءات المحتلين الإسرائيليين ضدها: «استمروا في سياسة عزل القدس وتهويدها وبناء المستوطنات فيها وإغلاق المؤسسات على اختلاف أنواعها والتضييق على سكانها بهدف إجبارهم على الهجرة منها وتفريغها». ص 198.

ويتطرق إلى ذكر سجن المسكوبية وتعرضه للتحقيق وللتعذيب فيه غير مرة، ومن بين هذه المرات تعرّض والدته للتحقيق في هذا السجن البغيض الذي أطلق عليه المعتقلون الفلسطينيون وصف «المسلخ» بسبب سمعته السيئة في تعذيب المعتقلين». ص 170.

وقد أنجز الأسير باسم خندقجي المحكوم ثلاثة مؤبدات في سجون الاحتلال كتابة ست روايات في السجن علاوة على ديواني شعر.

في أحدث رواية له بعنوان «شياطين مريم المجدلية» تتبوأ القدس مكانة بارزة في السرد حيث بطل الرواية نور الشهدي الذي يخطط لكتابة رواية عن مريم المجدلية، ما يجعله مضطراً إلى دخول المستوطنة المقامة على أنقاض بلدة اللجون الفلسطينية، تسنح له

الفرصة حين عثر على هوية شخصية ليهودي اسمه أور شايرا. يستعين نور بالشيخ المقدسي ذي الأصول المغربية لكي يضع صورته على الهوية ليتمكن بعد ذلك من تحقيق غايته. لتابعه وهو يخاطب صديقه المعتقل مراد ويعيش متهرباً في القدس كونه من مواطني رام الله الذي لا يستطيع دخول القدس بسهولة:

«ها أنا الآن هنا في قلب القدس.. هل تصدق هذا؟»

جئتها بالأمس قبل الفجر بقليل كعاشق، حيث تسلّلت عبر إحدى الثغرات في جدار الفصل العنصري المقام ما بين ضواحي القدس وضاحية الرّام، أهو حقاً جدار فصل عنصري يا مراد أم عتبة تفصل بين عالمين متناقضين.. عالم المركز وعالم الهامش.. عالم أور شايرا وعالم نور الشهدي؟

إن المفارقة الساخرة هي أنني أتسلّل إلى القدس بلا قناع.. أتسلّل نور الشهدي الشاب الفلسطيني اللاجئ.. وأما حين أتجول في شوارعها لا أكون سوى أور شايرا.. أشعر الآن أنك ستتنفض في وجهي لتقول لي: ألا يوجد لديك خيارات أخرى يا نور.. هل ستقلد الآخر الصهيوني من أجل عمل روائي.. ما الذي دهاك؟

كلا يا مراد.. اطمئن فأنا لم أزل أنا نور، بيد أنني نور الجواني.. وأما أور فهو أور البرّاني.. أنا الباطن وهو الظاهر.. الباطن يتجلّى والظاهر يُحجب. ص 91.

ينتقل السرد إلى السارد ويروقه أن ينقل مشاعر نور وهو يتجول في المدينة: «ثمة دكاكين في السوق ما زالت مغلقة وأخرى تضاءت بكسل في طريقها إلى فتح أبوابها سعياً وراء الرزق، بلغ المنعطف المؤدي إلى شارع الواد شمالاً، فسلكه بتؤدة وثبات. شعر بأن القدس بكامل أمهتها ترافقه متأبطة ذراعه، أحس بأنه يتجول في قصائد كتبت عنها وإليها، هكذا هو عهده معها. إنه يتخيّلها لكي يعتنقها ويعشقها. أعجبه هذا الصفاء الصباحي الهادئ الخارج من صخب الليلة الماضية برصاصها وقنابلها الصوتية والخانقة.



انعطف مرة أخرى يميناً باتجاه الشرق هذه المرة، سالكاً طريق الآلام، هذا الطريق الذي سار فيه يسوع وتوقف منهاراً عدة مرّات من أثر التعذيب وعبء صليبه الثقيل. لطالما سار نور في هذا الطريق دليلاً سياحياً للعديد من مجموعات الحجاج والسياح الأجانب، وأما الآن فهو يسير فيه حاملاً قناعه لا صليبه، متسائلاً في سرّه أليست كل طرق ودروب القدس مزدحمة بالآلام؟

تجاوز أكثر من نصف الطريق، ثم انعطف يساراً نحو الشمال حيث طريق باب الساهرة الذي غالباً ما يكون هادئاً وخالياً من المارة والعابرين، في مثل هذا الوقت بعكس باب العامود المدجج بقوّات الشرطة وحرس الحدود في معظم الأوقات». ص 104.

ونتابع:

«عزيزي مراد..»

ما زلت هنا في القدس داخل حجرة عتيقة كانت قبل قليل تعبق بكرم الشيخ مرسي وصدافته الوفية، في لقاء أخير قبل الرحيل إلى «مشمار هعميق»... ص 142.

ما يلفت النظر في هذه الرواية مواكبتها لحدث يومي معروف واستثماره في بناء النص الروائي على نحو يخدم هدف تقويض المفاهيم الاستعمارية الصهيونية. هنا تتحدث الفتاة الصهيونية أياً لا مع نور المتخفي في شخصية أور اليهودي، وهي التي تعلن نغمتها على الفلسطينية سماء إسماعيل ابنة حيفا الملتحقة بفريق الآثار التي ترفض بشكل علني كل حجج أياً لا في مشاهد متقنة إلى حد بعيد لا يتسع الحيز لذكرها هنا.

وتنتهي الرواية بأن يحقق نور هدفه من الوصول إلى المستوطنة التي أقيمت على أنقاض البلدة الفلسطينية، ثم يقوم بكشف حقيقة شخصيته لسماء إسماعيل ابنة حيفا، وحين يتم الإعلان عن إنها مهمة التنقيب عن الآثار بسبب توتر الأوضاع في فلسطين، يغادر نور المستوطنة وتغادرها سماء التي تحملها في سيارتها في طريق العودة إلى حيفا.

ويكتب الأسير المقدسي حسام زهدي شاهين رواية «زغرودة الفنجان» بوصفها نتاجاً أكيداً لمعاينة النضال الوطني عن قرب ضد الاحتلال وللانخراط الفعلي في هذا النضال، محددًا الأمكنة التي كان يتحرك فيها بطل الرواية، عمر، وهي المخيم وبيت لحم وبيوس؛ حيث نلتقي في بعض مشاهد الرواية مع السيرة الشخصية للكاتب. ذلك أن الجدل الذي زاره عمر غير مرة في قرية بيوس المتاخمة للقدس، وهو محتفٍ من وجه الأعداء، هو نفسه جد الكاتب: داود علي شاهين، الذي كان شيخ عشيرته، وواحدًا من رجال الإصلاح في القرية، وهو الذي ألهم عمر بحكمته وبعد نظره كيف يتصدى لمشكلة الإسقاط التي دأب عليها المحتلون لكي يعرقلوا تصاعد النضال الوطني في صفوف الشباب والشابات.

وفي كتابه «رسائل إلى قمر» الذي وصفه بأنه شظايا سيرة، يكتب حسام نصًّا سرديًّا يتداخل فيه أكثر من جنس أدبي، حيث الظروف القاسية التي يجيا في ظلها الأسرى الفلسطينيين والأسيرات في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ومنذ البدء؛ من العنوان والإهداء نجد أننا أمام نصٍ يُعلي من شأن المرأة ويقدرها حق قدرها، ويرفض في الوقت نفسه النزعة الذكورية السائدة في مجتمعنا، المتسلطة على المرأة المنكرة لحقوقها. يتبدى ذلك في العنوان: رسائل إلى قمر؛ وفي الإهداء الموجه إلى ثلاث نساء: الأم المقدسية الحبيبة آمنة، والطفلة الحبيبة قمر، والشقيقة المقدسية الحبيبة نسيم.

ولذلك؛ لم يغب عن بال حسام أن يذكر شقيقته المقدسية المناضلة في كتابه مع مناقضات مقدسيات أخريات: جهاد أبو زنيد، نجوى عودة، لوسي نسييه وابنتها نزهة، سلوى هديب، وأمه آمنة.

لنتابعه وهو يتحدث عن جهاد:

(تجدها في المسيرة والمظاهرة والاعتصام، وفي مواجهة المستوطنين والاستيطان، وفي



التصدي لسياسة الحواجز وهدم البيوت أو مصادرتها، وفي الندوة السياسية والتثقيفية وجلسات التوعية، تجدها تحشد الجماهير، تنظمها وتؤطرها في مختلف النشاطات، فهي تمتلك ملكة القيادة والتوجيه، لأنها كالصخرة الصلبة في مواجهة أعدائها، وكالشمعة المحترقة في خدمة شعبها.

إن حساب «العطاء والتضحية» الذي افتتحته «جهاد» في مدينة القدس يمتلك رصيلاً كبيراً من المحبة والاحترام في قلوب عشرات آلاف المقدسين خاصة والفلسطينيين عامة، وأنا واحدٌ منهم، فهنئاً لها بهذا النجاح الذي تستحقه، وهنيئاً لنا وللقدس ولفلسطين بأننا حظينا بإمرأة نموذجية في تفانيها وعطائها اسمها «جهاد». ص 85.

وبلغة حافلة بالمجازات والاستعارات يكتب المواطن أيمن الشرباتي أجزاء من سيرته وسيرة رفاقه في السجون الإسرائيلية. يكتب أيمن المحكوم بالسجن المؤبد عن معاناته في السجن وعن معاناة رفاقه، ولا تخلو كتابته من فكاهة عذبه ردّاً على تهجم الزنازين وجدران السجون.

في هذا الكتاب وصفٌ مسهبٌ لحياة الأسرى في السجن، ولعلاقات التكاتف التي تجمعهم وتوحدهم ولبعض الخلافات في ما بينهم، وفيه تأملات عن السجن والسجان، وبرغم احتفائه بالخليل مدينة أجداده، فإنه لا ينسى مدينة سكنه التي اعتقل فيها وحوكم من أجلها:

«أما أرواحنا وأفراحنا وأتراحنا فتبقى على حلّها وترحالها، غزلاً لنا كنعانية تتعطّش لموسم الهجرة إلى القدس الذي طال وطال، وتحلم بندى زيتونها، وتتأمل جمال عيونها، وعلى رنين أجراس الكنائس تنام، وعلى حنين المآذن للصلاة والفلاح تنهض». ص 41.

وتظل هي الغاية والهدف والطموح والمآل:

«محمود يجيد الاصطياد في مياه الطّابور العكرة بصنّارة التناقض حين قال (...). يا إخوة،

أيها المجاهدون، يرافق الطّابور الصّاعد إلى القدس بعزيمة وإصرار، إنّ الطّابور الذي اتّخذ من الشّمس بوصلة لن يجيد عن درب العطاء والفداء، وإنّ واجبنا الوطنيّ يحتمّ علينا أن نحسن استثمار اللّحظة التّاريخيّة التي أتاحها لنا القدر كي نوظّفها على خير ما يرام». ص 187.

وفي رواية «العاصي» للأسير المقدسي سائد سلامة الذي سينيهي بعد ثلاث سنوات حكمه بالسجن البالغ أربعاً وعشرين سنة، تبرز علاقة الرواية بمدينة القدس من خلال سلوك نادر الذي يقيم في إحدى قرى المدينة، ويسعى إلى التمثّل بما فعله العاصي رفضاً منه للاحتلال ولممارساته ضدّ الناس، لذلك نراه يعتلي جدار الفصل العنصري التوسعي متجهاً إلى القدس وفي ذهنه قرار لن يجيد عنه مهما كانت النتائج، وتنتهي الرواية كما يلي:

«كانت حلّقه وكأنها بئر عطشى... ولم يأبه،

كانت جراحه حُبلى بالآلام لا تستكين... ولم يأبه،

كانت الوجوه تراه وتُشخّ عنه... ولم يأبه،

كان سارياً في الليل يبحث عن الدفء والأمان... ولم يأبه،

كان له اسمٌ أوسع من الهامش وأضيق من المتن.

ثم صار له اسمٌ يشبه الحكاية». ص 358.

تفصح رواية عمار الزين «الطريق إلى شارع يافا» عن توجهها بشكل صريح، وهي منحازة إلى موضوعها المرتبط بالمقاومة المسلحة على غرار روايات المقاومة السوفياتية أثناء الحرب العالمية الثانية، لكنها وهي تحتفي بالأمكنة الفلسطينية تفرد للقدس موقعاً



خاصًا في قلوب أبطال الرواية، مثلًا:

«محمود لم يقاوم البعد عن القدس أكثر من ذلك، تغيب عنها قسرًا بالنفي إلى مرج الزهور جنوب لبنان، ثم الاعتقال المتكرر وأخيرًا المطاردة التي افترض جهاز الشاباك أن أبرز إنجازاتها حرمانه من الوصول إلى القدس والمسجد الأقصى». ص 56.

لكنه يتحدى المحتلين ويصل القدس:

«تمهلت قليلًا في باب العامود، وما زال المكان يبهرني جمالًا منذ كنت طفلًا، أزور القدس، أحجها، أيمم إليها وجهي، طفلًا، صبيًا، فشابًا». ص 77.

خلاصة:

نخلص من هذه القراءة لأكثر من عشرين كتابًا كتبها فلسطينيون وفلسطينيات من داخل السجون ومن خارجها، أن القدس هي المدينة الفلسطينية العريقة التي تحتضن أبناءها المناضلين وبناتها المناضلات، وهي المدينة التي يشتاها أبناءها وبناتها سواء أكانوا قريبين منها أم محتجزين في الزنازين والسجون، وهي المدينة المتطلّبة التي لا تكف عن طلب التضحيات تلو التضحيات من أبنائها الذين لا يبخلون عليها، ومن وبناتها اللواتي لا يبخلنّ عليها بتقديم المهج والأرواح وأحلى سنوات العمر في السجون من أجل ألا تنجح خطط المحتلين الرامية إلى تهويدها وأسرلتها، ومن أجل أن تظل مدينة عربية فلسطينية لأهلها المسلمين والمسيحيين ولكل العرب والمسلمين أينما كانوا، ولكل محبي الحرية والعدالة والسلام في العالم.

المصادر:

- مذكرات فائق وراذ.. خمسون عامًا من النضال- تحرير: أحمد رفيق عوض، سميح شبيب- منشورات حزب الشعب الفلسطيني / رام الله 2005.
- دروب الأمل.. دروب الأمل- نعيم الأشهب، سيرة ذاتية- دار التنوير للترجمة والنشر والتوزيع - القدس، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع - رام الله 2009.
- البهاء باقٍ فينا ومعنا- سيرة وشهادات - محمد عليان، دار الرعاة، رام الله - جسور ثقافية، عمان 2018.
- «دروب المراثي»- أسعد الأسعد - دار الرعاة - رام الله - جسور ثقافية؛ عمان- 2020.
- العسف- جميل السلحوت- رواية- دار الجندي للنشر والتوزيع- القدس 2014.
- اليتيمة- جميل السلحوت- رواية- مكتبة كل شيء- حيفا 2021.
- أقدوانة الروح - إبراهيم جوهر- يوميات مقدسية- وزارة الثقافة- رام الله 2014.
- ألف يوم في زنزانة العزل الانفرادي- مروان البرغوثي- الدار العربية للعلوم للنشر والتوزيع- بيروت 2011.
- أسرى وحكايات.. من فن السيرة في السجون- أيمن ربحي الشرباتي(المواطن) - دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، رام الله 2021.
- ذكريات الماضي، سيرة ومسيرة/ طلال أبو عفيفة- الاتحاد العام للأدباء والكتاب الفلسطينيين 2022.
- حجر الفسيفساء- مي وليد الغصين- رواية 2021.
- ترانيم اليمامة - أسيرات محررات - مكتبة بلدية بيتونيا 2021.
- المسكوبية - أسامة العيسة- رواية- طبعة ثانية الرقمية، القدس 2019 - طبعة أولى- مركز أوغاريت الثقافي، رام الله 2011.
- أحلام بالحريّة- عائشة عودة- الطبعة الرابعة- دار البيروني- عمان 2016.
- غسل الملكات- ماجد أبو غوش- رواية- الدار الأهلية للنشر والتوزيع- عمان 2015.
- ظل آخر للمدينة- محمود شقير- دار الناشر- رام الله- فلسطين 1998.
- شياطين مريم المجدلية- باسم خندقجي - مخطوطة ورائية 2022.
- زغردة الفنجان- رواية- حسام زهدي شاهين- الدار الأهلية للنشر والتوزيع- عمان 2015.
- رسائل إلى قمر- شطايا سيرة- حسام زهدي شاهين- دار الشروق للنشر والتوزيع- عمان- رام الله 2020.
- العاصي- سائد سلامة- رواية، دار الفارابي- بيروت 2022.
- الطريق إلى شارع يافا- عمّار الزبن- رواية - وزارة الثقافة- غزة 2020.